المحاضرة 07:

القصيدة النسوية

بدايات الشعر النسوي المعاصر في الجزائر:

إن المتتبع للحركة الأدبية في الجزائر، يلاحظ قلة مساهمة المرأة الجزائرية في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها، وذلك نظرا للظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، فلاحظنا بذلك تأخر ظهور الحركة الأدبية النسوية فقد عاشت المرأة حصارا فرضه الاستعمار من جهة والعادات والتقاليد من جهة أخرى.

بالرغم من ذلك فقد كان لبروز الحركة النسوية في المشرق العربي الأثر الكبير على حياة المرأة الجزائرية في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها فكانت على إثره الولادة العسيرة للأدب النسوي في الجزائر. وبما أنّ حديثنا يتمحور حول الشعر النسوي الجزائري، فيمكن أن نؤرخ للبداية الفعلية لظهور الشعر النسوي منتصف الستينيات حيث بدأنا نطالع البواكير الأولى التي يحق لنا أن نؤسس بها لبدايات التأنيث في القصيدة الجزائرية والتي بدأت تحتفي بأسماء نسوية تزرع نصوصها في الخارطة الشعرية.

فكانت البذرة الأولى مع مبروكة بوساحة باعتبارها أول أديبة كتبت باللغة العربية من خلال ديوانها "براعم" الذي صدر سنة 1969، وبعدها برزت أحلام مستغانمي بديوانيها على مرفأ "الأيام 1973، ثم ديوان الكتابة في لحظة عري" 1976. وهناك أديبة أخرى يمكن اعتبارها من الرائدات اللواتي خضن في مجال الكتابة الشعرية وهي زوليخة السعودي والتي عُرفت كذلك قاصة وكاتبة مسرح وناقدة لتتوالى بعد ذلك الإبداعات النسوية الشعرية نتيجة تكوين المجلات خاصة مجلة الجزائرية" التي احتضنت إبداع الكثير من الشاعرات الجزائريات، فنشرت زينب الأعوج ديوانها "يا أنت من منا يكره الشمس" بداية الثمانينيات.

أما ربيعة جلطي فنشرت أولى قصائدها سنة 1975 قبل أن تطبع ديوانها تضاريس لوجه" غير باريسي" عام 1983. وبداية من الثمانينيات بدأ النضج الفكري والوعي الثقافي عند المرأة الجزائرية لتجتاح الساحة الأدبية بأعمال مختلفة، وساهمت في ذلك المجلات والجرائد الوطنية والعربية، بالإضافة إلى احتكاكهن بثقافات أخرى، فحققت بذلك المرأة الجزائرية مكاسب كثيرة أهمها ولوج عالم الجامعة الصحافة والتأليف خاصة الشعري منه. وبهذه الانطلاقة أدركت المبدعة الجزائرية والشاعرة خاصة وجودها المستقل داخل العالم الذكوري فحملت أشعارها رؤى مختلفة ومواضيع متعددة، هذا إذا اعتبرنا أنّ الشعر النسوي الجزائري قد مر بمراحل مختلفة انطلاقا من مرحلة الستينيات ثم السبعينيات والثمانينيات لتأتي بعدها مرحلة الشعر الحديث[1].

خصائص الكتابة الشعرية النسوية:

في مُؤلَّفه "الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر" يُجمِل الكاتب "أحمد دوغان" مميزات الشعر النسوي الجزائري، من خلال دراسته لبعض النماذج الرائدة، وذلك في العناصر التالية:[2]

- ✓ أغلب الأصوات الشعرية قد كتبت الشعر الحر أو ما يسمى بقصدة النثر،، وليس من السهل اعتبار قصيدة النثر مطية للكتابة ولذا نرى أن الشاعرة قد توفق في مقطع، وتكون قلقة في مقطع آخر وذلك لأن النص هنا يعتمد على الإيجاز وتكثيف الصورة، ووحدة الموضوع من خلال التوزيع الذاتي للمقاطع بحيث تشكل الرؤيا المتكاملة.

[1]– ينظر، دليلة كعوان، سعيد بوسقطة: الشعر النسوي في الجزائر الرؤيا والتشكيل، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، العدد 03، جامعة زيان عاشور الجلفة، سبتمبر، 2018، ص 213، 214.

[2]– أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة آمال، العدد04، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 160.

- ✓ اللغة التي كتبت بها كانت غير مستمدة من الثقافة بقدر ما هي تتعامل مع الواقع،، وإن دلت التجارب الشعرية على أن الشاعرات قرأن الشعر الحديث،، وخاصة الشعر الحر،، وبرزت آثار السياب ومظفر النواب، ومحمود درويش وصلاح عبد الصبور في صيغهن، وأنا لا أتهم وإنما مرحلة التأثر لابد منها في المرحلة الأولى من الكتابة ولكن بشرط أن يكون التجاوز فيما بعد لتأخذ الشخصية دورها في الفن.
- ✓ هذه الأصوات الشعرية الشابة حملت أعباء الثورة الاشتراكية، بما فيها من أبعاد، وكان الواقع عندهن منبعا لأفكارهن، ولذلك نرى أن الشعر الذي يكتب من قبلهن تتفشى فيه رائحة التجديد شكلا ومضمونا، والقصيدة عندهن ما زالت متأثرة بالقافية والروي وتقاطيع الشعر العربي، وان كتبت بأسلوب قصيدة النثر، أو تعاملت مع التفعيلة.

نموذج للشاعرة ربيعة جلطي:

في ديوانها "النبية تتجلَّى في وضح الليل"، من نصُوص الجزء الأول من القصيدة الديوان نقرأُ:

"الليلُ أيضًا يخافُ الظَّلامَ

جاحظ العينين يبيتُ

حتى تشعلَ الأرضُ قناديلَها

فينام"

"أيُّها الليلُ الحالكُ ، نجومُك تلك أم رَصاصٌ طائش"

"الليلُ الحزينُ ، يفتشُ جيوبَه عن قطعةِ نهارٍ ؛ ليمسحَ دموعه"

"ياليل

حكيمةٌ هاته الياء التي تجلسُ بين لاميْك / منذ أمدٍ ، تصالحُ بينهما."

"مثل جنرالٍ مهزُومٍ

يخلعُ الليلُ نجومَه“

”الليلُ

عينُ النهار المغمضة“

فليل ربيعة له ” أكمام وجيوب واسعة “، حيثُ ” النوم .. أخطرُ الرياضيات، تدرُّبٌ يوميٌّ على الموت“

نحن أمام صوتٍ باحثٍ مُغامرٍ مبتكر مجازف بالكلمة التي تأخذ لونًا آخر وعلاقات جديدة، بحيث يتم إنتاج نصّ مغاير وحي، يذهبُ هذا الصوتُ الشعريُّ بعيدًا بخياله، خالقًا عوالمه الأسطورية، قلقًا من زمانه الوجودي، ومُستفيدًا من خبراته ومعارفه ورحلاته، طازج في التشكيل، حتى أنَّ التخييلَ نال رتبةً أعلى مما ينتظرُه مُتلقٍّ وعارفٍ بتجربة الشَّاعرة ، مُؤمنًا بأن ” بعض الحقيقة فيما لا ندركُه..

يلحظ قارئُ الديوان تعدُّد المستويات في اللغة، التي تنتقلُ بخفةٍ بين لغة الباطن والخيال الشَّاطح، وبين لغة السَّرد التي تهيئ للشِّعر أن يبدأ القول، مُستخدمةً اشتقاقات وتراكيب؛ كي يصيرَ النصُّ لوحة بانورامية يشبهُ العمل الأوبرالي أو الملحمي[3].

[3]– ينظر، أحمد الشهاوي: ربيعة جلطي.. شاعرة ترتق أزرار الليل، موقع ثقافات، أكتوبر، 2022، الرابط: https://thaqafat.com/2022/10/100951